

هذا البحث يدرس ظاهرة من أهم الظواهر اللغوية التي نطقت بها القبائل في شبه الجزيرة العربية هي ظاهرة الإبدال على المستويين الصامت والساكن في قراءة عبد الله بن مسعود ؛ لبحث أشكال هذا الإبدال في قراءته ، وانعكاساته اللهجية فيها ، وتأثيرها في اختياره لحروف قراءته .

دكتورة إيمان محمد علي إسماعيل

دكتوراه في الآداب من قسم اللغة العربية بكلية الآداب
جامعة القاهرة .

الإبدال في قراءة عبدالله بن
مسعود

ظاهرة الإبدال في قراءة ابن
مسعود

الإبدال في قراءة عبد الله بن مسعود

مقدمة :

ظاهرة الإبدال الصوتي تُعد من أهم الظواهر اللغوية التي انتشرت في نطق القبائل العربية ، والتي كانت السبب في هذا الثراء اللغوي الذي حفلت به هذه اللغة ، وقد قدمت القراءات القرآنية أشهر وأهم صور الإبدال التي نطقت بها أشهر القبائل العربية شرقا وغربا .

وقد كانت قراءة ابن مسعود من أكثر القراءات التي حفلت بمواضع الإبدال الصوتي ، المنسوبة لنطق القبائل العربية القاطنة شرقا وغربا ؛ وذلك ربما يكون لوضع هذا الصحابي والقارئ من حيث نسبه ونشأته وحياته ، فقد نُسب إلى قبيلة هذيل الغربية ، وهذه القبيلة كان لها وضعها الخاص ؛ فهي من القبائل التي حكم لها موقعها المتاخم للقبائل الشرقية أو البدوية أن تمزج ملامحها العامة بين السمات الغربية والشرقية ، وظهر ذلك أكثر ما ظهر في لهجتها التي حملت الكثير من الظواهر اللغوية المنسوبة لقبائل البدو ، فظهرت في قراءته مواضع الإبدال التي نطق بها البدو ، وعاش حياته في كنف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة ، فظهرت في قراءته مواضع للإبدال نُسبت لنطق القبائل الغربية .

وسيقوم هذا البحث بعرض هذه المواضع ، وبحثها ، ونسبتها إلى قبائلها ، للوصول على التأثير الأكبر في قراءة ابن مسعود ، هل هو لنطق القبائل الشرقية أم القبائل الغربية ؟ وهل هناك تأثير واضح لنطق لهجة هذيل في قراءته ؟

وستقسم الدراسة في هذا البحث على هذا النحو :

- ١- تمهيد : يُعرض فيه ترجمة موجزة للقارئ عبد الله بن مسعود ، ويُعرض فيه ظاهرة الإبدال ، وآراء العلماء فيها .
 - ٢- الفصل الأول : مواضع الإبدال في قراءة عبد الله بن مسعود ، وتُبحث فيه صور الإبدال في قراءته .
 - ٣- الفصل الثاني : الانعكاسات اللهجية للإبدال في قراءة ابن مسعود ، وفيه تُنسب مواضع الإبدال في قراءته لنطق اللهجة الناطقة بها .
- الخاتمة : ويتم فيها عرض النتائج التي توصل لها البحث .

تمهيد :

أولا : التعريف بعبدالله بن مسعود :

عبد الله بن مسعود هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، كذاه الرسول صلى الله عليه وسلم بأبي عبد الرحمن، وكان يلقب بأمه فيقال له :ابن أم عبد ، كان من السابقين الأولين ومن النجباء العالمين ، شهد بدرًا ، وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على الدّاخل، وكان عبد الله ابن مسعود أول من صاح بالقرآن في الكعبة (١)، أرسله عمر بن الخطاب إلى الكوفة (٢) في خلافته ليقوم على قضاء أهلها (٣)، وببيت مالهم (٤)، وليقرنهم القرآن الكريم، ويعلمهم الشرائع والأحكام (٥) ، أقام ابن مسعود مدرسة علمية متعددة الفروع في الكوفة ، فكان يعلم بها القرآن والحديث والفقه وأصول الفتوى وغيرها من العلوم الشرعية ، وعنه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "من أحب أن يقرأ القرآن غَضًا كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد" (٦) ولقد شهد الله تعالى له بالعلم في أكثر من موضع في القرآن الكريم فقد قيل في قوله تعالى : " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله " : إنه أنزل في عبد الله بن مسعود وأبي ابن كعب وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل ، وقد قال لهم بعض اليهود : ديننا خير مما تدعوننا إليه ، ونحن خير وأفضل ، قال عكرمة ومقاتل (٧) ، وقوله تعالى : " قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا " قال أبو بريدة : هو عبد الله بن مسعود (٨) ولذلك نجد ابن مسعود فيما أخرجه أبو حاتم يقول عند قراءته قوله تعالى : " ما يعلمهم إلا قليل " قال أنا من القليل وقد أخذ ابن مسعود القرآن الكريم من النبي صلى الله عليه وسلم في بادئ إسلامه في سن التاسعة عشر، فقد أخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم سبعين سورة لا ينازعه فيها أحد . وأخذ سائر القرآن من أصحابه صلى الله عليه وسلم ، وقد قال عن نفسه : " قرأت على رسول الله عليه وسلم سبعين سورة وختمت القرآن على خير الناس علي بن أبي طالب رضي الله عنه" (٩).

(١) الأوائل لأبي هلال العسكري ص ٢١٣

(٢) الطبقات لابن سعد ١٤/٦ وانظر الكامل لابن كثير ١٨ /٣

(٣) المعارف لابن قتيبة ص ٢٤٩ وانظر شذرات الذهب لابن عماد ٣٢/١

(٤) تاريخ اللأمم والملوك للطبري ٣٨٢ /٤

(٥) المنتظم لابن الجوزي ٣٢/٥ وانظر تاريخ الإسلام للذهبي ص ٣٨٥:٣٨٩

(٦) موضع أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي ١٦٦/١

(٧) جامع البيان للطبري ٣٩٠/٣ وانظر السيوطي الدر المنثور ١١٣/٢

(٨) السهيلي التعريف والإعلام ١٥/١ وانظر مفحمت الأقران للسيوطي ص ٩٦ وسير أعلام النبلاء للذهبي ٤٦٩/١

(٩) المسند لأبي يعلى ٣٠/٩ (٥٠٩٦) وانظر المعجم الكبير للطبراني ٧٦/٩

****** وقد كان ابن مسعود على دراية بالقراءات والأحرف السبع؛ ولذلك كان يقول لأصحابه بعد ذلك: إني قد سمعت القراءة فوجدتهم متقاربين فاقروا كما علمتم إنما هو كقول أحدكم : هلم وتعالى، وفي رواية زاد فيها وأقبل (١) . ويزيد مصحف ابن مسعود وقراءته توثيقا أنه شهد العرضة الأخيرة ، فقد روى مجاهد وغيره عن ابن عباس قال : أي القراءتين كان أخير قراءة عبد الله أم قراءة زيد ؟ قال : قلنا : قراءة زيد قال : إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبرائيل كل عام مرة ، فلما كان العام الذي قبض فيه عرضه عليه مرتين، وكانت آخر القراءة قراءة عبد الله؛ لذلك نجد عبد الله بن مسعود يقول : " لو أعلم أحد أحدث بالعرضة الأخيرة مني تناله الإبل لرحلت إليه " (٢) .

******* وكان القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا في صدور الرجال ، وقد كتب الناس منه في صحف ، وفي جريد وفي ظرر وفي لخاف (٣)، والظاهر أن ابن مسعود كان ممن يحفظ ، وأنه لم يكتب من القرآن شيئا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

******* وقد جمع القرآن في عهد الخليفة أبي بكر الصديق ؛ لما استحرى القتل بالقراء في اليمامة بإشارة من عمر بن الخطاب؛ مخافة أن يموت أشياخ القراءة كأبي زيد وابن مسعود فيذهب القرآن لذهابهم، فندبا إلى ذلك زيد بن ثابت فجمعه غير مرتب السور تعب شديدا، فلما اكتمل العمل اختلفوا في تسميته فمنهم من أشار بتسميته إنجيلا ولكنهم كرهوا ذلك (٤)، ومنهم من أشار بتسميته سفرا فكرهوه أيضا ، فقال ابن مسعود : رأيت بالحبشة كتابا يدعونه المصحف فسموه كذلك .

(١) السنن الصغرى للبيهقي ٢٨٦/١ (٢٢/١٠٢٢) (٤٩٥)

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥٨/١ وانظر تاريخ الإسلام للذهبي ٣/٣٨١

(٣) القرطبي ٤٣/١

(٤) الأوائل لأبي هلال العسكريص ١٤٣ وانظر الكامل للمبرد ١١٢/١ والبرهان للزركشي ٢٨١/١ وانظر الإتيقان للسيوطي ٥١/١

***ولما انتقل ابن مسعود في عهد الخليفة عمر بن الخطاب إلى الكوفة معلماً ووزيراً قام بتحميل القرآن الكريم إلى أهلها بالطرق الآتية وهي تلاوته عليهم، وسماعه منهم وإجازته، وإملائه عليهم، وإرشادهم لغيره ليأخذوا عنه. ويستمر ابن مسعود في الكوفة يقرأ القرآن ويعلمه لأصحابه طوال خلافة عمر بن الخطاب، وجزء من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنهما، حتى وصل الحال بأن تكون قراءة ابن مسعود هي قراءة أهل الكوفة؛ فقد روى ابن عبد البر بسنده عن عبد الله بن أحمد عن أبيه عن سفيان قال: كان صغيرهم وكبيرهم يقرأ قراءة عبد الله بن مسعود (١).

***وكان لتوسع رقعة الأرض الإسلامية أثره على بعض الصحابة، الذين أحسوا بالقلق على لغة القرآن الكريم من اختلاف قراءته مما جعل الخليفة عثمان بن عفان يصدر أوامره بنسخ الصحف القرآنية في مصحف واحد، على قراءة واحدة، وأرسل إلى كل أفق مصحف، وأمر بإحراق مادونه من المصاحف الأخرى لنلا يقع بسبب ذلك خلاف، وقد فرح بعض أهل الكوفة بمصحفهم الجديد، ولكن عبد الله بن مسعود وأصحابه كرهوا ذلك (٢).

***واستمر ذلك الوضع حتى رضخ عبد الله بن مسعود في النهاية لأمر خليفته وأحرق مصحفه؛ خشية اندلاع الفتن بين المسلمين، وقد احتفظ بعض أهل الكوفة أصحاب ابن مسعود بنسخ من مصحفه، كنسخة الحارث بن سويد، الذي دفن مصحفه في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي (٣). ولم تكن المصاحف التي اقتناها بعض أصحاب ابن مسعود هي الوسيلة الوحيدة لحفظ قراءته بل الحفظ والتلاوة كانتا أيضاً أحد الطرق التي حفظت قراءة ابن مسعود؛ فقد قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء في الشام فطلبهم، فوجدتهم فقال: أيكم يقرأ على قراءة عبد الله؟ قال: كلنا؛ قال: فأيكم يحفظ؟ وأشاروا إلى علقمة قال كيف سمعته يقرأ: "والليل إذا يغشى" قال علقمة: "والذكر والأنثى" قال: أشهد أنني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هكذا، وهؤلاء يريدونني أن أقرأ: "وما خلق الذكر والأنثى" والله لا أتابعهم. (٤)

(١) التمهيد لابن عبد البر ٢٩٧/٨-٢٩٨

(٢) الكامل للمبرد ١١١/٣

(٣) معاني القرآن للفراء ٦٨/٣ وانظر الكشاف للزمخشري ٥٤٩/٣

(٤) البخاري صحيح البخاري (٣٧٤٢) (٣٧٤٣) (٤٩٤٣) (٤٩٤٤) وانظر مسلم صحيح مسلم (٠٠/٢٨٤) (٠٠/٢٨٥) وانظر النسائي السنن الكبرى (١/١١٦٧٦) (٢/١١٦٧٧)

***وقد بقيت قراءة عبد الله بن مسعود في عهد بني أمية في الكوفة حتى دخلها الحجاج بن يوسف الثقفي سنة خمس وسبعين^(١)، ووكّل عاصما وناجية بن أمح وعلي بن أصمع بتتبع المصاحف، وأمرهم أن يقطعوا كل مصحف يجدهم مخالفا لمصحف عثمان، ويعطوا أصحابه ستين درهما، ويدل على ذلك ما ذكر من وقوف الحجاج خطيبا يقول: " اتقوا اللهما استطعتم ، هذا والله مثنوية، واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ليس في مثنوية ، والله لو أمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا حلت لي دماؤكم ، ولا أجد أحدا يقرأ على قراءة ابن أم عبد يعني ابن مسعود إلا ضربت عنقه ، ولأحكمتها من المصحف ولو بضلع خنزير، وكان يعاقب عليها^(٢). وإن كان الحجاج ولجنته قد استطاعوا محو بعض المصاحف كما فعلوا بمصحف صاحب ابن مسعود الحارث بن سويد فإنها لم تستطع أن تمحو ما في صدورهم من قراءته، فقد ذكر للأعمش قول الحجاج فقال: وأنا سمعته يقول فقلت في نفسي: لأقرأنها على رغم أنفك .

***وهناك أدلة تؤكد بقاء آثار باقية من قراءة ابن مسعود . على الرغم من طول المدة . في عهد الدولة العباسية ، وعلى الرغم من الخلاف الدائر بين الفقهاء في حكم القراءة بقراءة ابن مسعود ، ومن ذلك ما ذكره ابن خالويه (ت ٣٧٠) أنه صلى مرة خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان وكان يقرأ: " وكان عبدا وجيها " ٣٣/٦٩ على قراءة ابن مسعود^(٣) وقد نقل صاحب الفهرست له مجموعة من القراءات التي خالف بها الجمهور وجميعها تنسب إلى ابن مسعود وهي القراءات التي عقد له بها مجلس، وأخذ عليه ميثاق بتركها .

***وإن كانت قراءة ابن مسعود قد تراجعت أمام القراءات المتواترة عند القراء في الأجيال التالية ورفضوا القراءة بها، وأصبحت القراءة تنسب إلى القراء العشر أو السبع، فقد بقيت قراءة ابن مسعود تبث في مؤلفات النحاة واللغويين والبلاغيين والأصوليين والفقهاء والمفسرين وعلماء القراءات والمحدثين والمؤرخين وغيرهم، لأسباب دينية أو لغوية أو غيرها .

***وقد تتلمذ على يديه من القراء كل من : الأسود ، وتميم بن حذلم ، والحارث بن قيس، وزر بن حبيش وعبيد بن قيس ، وعبيد بن نضلة ، وعلقمة ، وعبيد السلماني ، وعمرو بن حبيش ، وأبي عبد الرحمن السلمي، وأبي عمرو الشيباني، وزيد بن وهب، ومسروق، وتتللمذ على يديه العديد من الفقهاء المشهورين، ومن أشهرهم ابنه أبو عبيدة وعبد الرحمن (٤).

*** وقد توفي ابن مسعود في آخر سنة اثنتين وثلاثين، في خلافة عثمان بن عفان على أثر مرض شديد ألم به عن عمر يجاوز الستين، في المدينة المنورة، ودفن بالبقيع^(٥).

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٨٦٣١٤/٢ وانظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٥١-٥٢
(٢) الكامل للمبرد ٨٥٦/٤ وانظر التمهيد لابن عبد البر ٢٩٨/٨ وانظر روح المعاني للأوسى ٩٥/٢١ (٣) الفهرست لابن النديم ص ٢٨ وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٣٦٢/١ - ٣٦١ (٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٦١/١ وانظر الإتيان للسيوطي ٥٧٣/١ وانظر أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية ٢٥/١

(٥) سير أعلام النبلاء ٤٩٩/١ وانظر الطبقات لابن سعد ١٤/٦

ثانيا : تعريف الإبدال في اللغة :

لقد اختلف مفهوم الإبدال بين الصرفيين واللغويين فقد (١) " درج الصرفيون على تعريفه بأنه جعل حرف مكان آخر مطلقا، ولعل اقتصارهم على الحروف؛ لأن نظرتهم إلى الكلمة من جهة التغيير الذي يلحق الحروف، فقصروا التغيير عليه وقد توسعت نظرة اللغويين للإبدال ف" لم تقف نظرة اللغويين عند التغيير الذي يلحق حروف الكلمة، ولكنهم يلحظون دائما التغييرات التي تلحق الحركات أيضا، وإذا تأملنا فيما يدل عليه لفظ الإبدال رأيناه صالحا لشمول كل تغيير غير الحروف والحركات، ولكننا نقف إزاء التغيير الذي يلحق الحروف والحركات لأنها النظرة التي نظرها اللغويون وعلى هذا فنعرّف الإبدال بأنه: جعل حرف مكان آخر، أو حركة مكان أخرى".

وقد اختلف العلماء في نشأة الإبدال، وهل نشأ من اختلاف اللغات " اللهجات " ؟ " فلما جمعت اللغة ونظر علماء اللغة في بعض الكلمات وجدوا أن كلمتين تتحدان في المعنى ومعظم الحروف إلا في حرف واحد، فحكم فريق من العلماء بأن هذا النوع يكون من قبيل الإبدال، وقد نشأ من اختلاف اللغات " اللهجات ". واتجه فريق آخر إلى تقسيم هذا النوع فقالوا : إن اختلاف الحروف تارة يكون من قبيل الإبدال ، وأخرى من باب اختلاف اللغات " اللهجات " ، ولم يُبينوا لنا موضع هذا النزاع ، ولكن من تتبّع كلامهم يمكننا أن نقول " الإبدال " إما مطرد عند جميع العرب ، وهذا إذا استوفى شرطه وجب تنفيذه وهو الخاص بحروف : هدأت موطيا، وقد تكفل الصرف بدراسته ، فالواو والياء إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما قَلْبَتَا أَلْفَا كما في صام وهاب؛ فإن أصلهما صَوَمَ وهَيَّبَ ، وقد عُرِفَ هذا الأصل من تصريفات الكلمة كالصوم والهيبة ولم ينطق بهما على هذا الأصل عند قبيل من العرب ، وهذا النوع ليس من نطاق بحثنا ، لأن العرب لم تنطق به على أوضاع مختلفة ، فيكون فيه لهجات مختلفة فيعد من هذا البحث .

والثاني : الإبدال غير المطرد : لا يخضع لشرائط بحيث إذا لم ينفذه عد مخالفه مرتكبا سبيل الشذوذ وهذا لا يكون عند العرب جميعا ، ولكن يتنوع بين القبائل، فقبيلة تقول : مدح وأخرى تقول : مده ، وهذا هو المقصود لنا في دراستنا، وقد اختلف العلماء في منشئه أهو من اختلاف اللغات " اللهجات " أولا ؟ على رأيين :

(١) اللهجات العربية دكتور إبراهيم محمد نجا ص ٩٦-٧٠

(١) يرى أبو الطيب اللغويّ ومناصروه أن الإبدال ينشأ من اختلاف اللغات " اللهجات " ،
يوضح لنا مذهبه قوله :

ليس المراد من الإبدال أن تتعد العرب تعويض حرف من حرف ، وإنما هي لغات مختلفة
لمعان متفقة تتقارب اللفظتان لمعنى واحد، إلى أن قال : والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا
تتكلم بكلمة طوراً مهموزة وطوراً غير مهموزة ، ولا بالصاد مرة وبالسين أخرى. وكذلك
إبدال لام التعريف ميماً ، والهمزة المصدرية عينا كقولهم : في نحو : " أن " " عن " لا تشترك
العرب في شئ من ذلك ، إنما يقول هذا قوم وذلك آخرون . وهذا الرأى يفهمنا أن الإبدال لا
يكون إلا من قبائل متعددة .

(٢) يرى ابن جنديّ ، وابن سيده ، وابن يعيش ، أن الكلمتين المتحدتين المعنى والحروف إلا
حرف واحد ، تارة يكون هذا الخلاف في ذلك الحرف من قبيل الإبدال عندهم ، وذلك إذا أمكن
الحكم بأصالة إحدى الكلمتين وفرعية الأخرى، وهذا يستدعي أن تكون الأصلية أعم تصرفاً، أو
أدور استعمالاً ليتسنى الحكم بالأصالة والفرعية لهذه الميزة، وحينئذ يكون الإبدال عند قبيلة
واحدة أو عند العرب جميعاً. وأنا يكون هذا الخلاف من قبيل اختلاف اللغات، وذلك إذا لم يتسن
الحكم بالأصالة والفرعية لهذه الميزة، حينئذ يكون الإبدال عند قبيلة واحدة أو عند العرب جميعاً
" (١) .

ويلاحظ مما سبق ذكره أن الإبدال عند القدماء أكثر شمولاً؛ فهو يعني التغير بين الصوائت
والصوائت في الكلمة مطلقاً، ولا يفرقون بين ما إذا كان هذا التغير حدث بسبب التماثل أو
المخالفة بين الأصوات في الكلمات؛ بدليل إدراجهم لظاهرة النطق بالصاد بدلاً من السين في
كلمة " سراط " تحت مسمى الإبدال وهي كما نعلم تحدث بسبب التماثل الرجعي الجزئي
المنفصل بين السين المرققة والطاء المفخمة أو المطبقة في الكلمة، ولكن إذا رُنا الدقة فإن
الإبدال الذي نقصده والذي نحن بصدد الحديث عنه، هو بصورة مبسطة أن يتغير صوت في
كلمة سواء أكان هذا الصوت صامتاً أو صائتاً بالتحوّل إلى صوت آخر، دون أن يكون سبب هذا
التغير هو التماثل بين الأصوات في الكلمات فهذا شئ آخر، ودون أن يكون لهذا التغير أي
تأثير على الدلالة فيها؛ فما هو إلا تنوع لطريقة نطق الكلمة عند القبائل العربية. وقد أطلق على
هذه الظاهرة في علم الأصوات الحديث اسم (التنوع الحر) ، وظهرت في اللغات السامية كلها
، وخاصة اللغة العربية .

(١) اللهجات العربية دكتور إبراهيم نجا ص ٧٠-٧١

الفصل الأول : مواضع الإبدال في قراءة عبد الله بن مسعود :

أولاً : الإبدال في الصوامت :

سأعرض في هذا الفصل المواضع التي قرأ فيها عبد الله بن مسعود بظاهرة الإبدال الصوتي في الصوامت فقط ، وهي على هذا النحو :

" ﴿ ٧ ﴾ البقرة [٧]"

قرأ بإبدال الغين بالعين : " عِشَاوَةٌ " ، فالكلمتان يتعاقبان في نطقها صوتا العين والغين ، وقد قيل إن الفعل عشا يقصد به : سوء البصر بالليل والنهار ويكون في الناس والدواب والإبل والطير ، والفعل عشا بمعنى بَطَّيْ ، فيلاحظ هنا تقارب المعنى في القراءتين (١) . فعلى ذلك قد يكون كل من العين والغين فونيمان مختلفان في كلمتين مختلفتين بينهما تقارب في المعنى ، أو قد يكونان تنوعا حرّاً أي مجرد تغيّر نطقي للصوت الأول في الكلمتين (ألفونين) ، الذي قد ينطق في بعض اللهجات عينا وفي بعضها الآخر غينا ، دون أن يكون لذلك الوضع أي تأثير على الدلالة في الكلمتين؛ فيرجع ذلك إلى اختلاف نطق القبائل العربية .

" ﴿ ٦١ ﴾ البقرة [٦١]"

بإبدال الفاء بالثاء (٢) : " وثومها " ، والثوم كلمة أصيلة في اللغات السامية ، ففي العبرية "شوم" وفي الآرامية "توما" ، وإذا أخذنا في الاعتبار أن الشين العبرية تقابل التاء في الآرامية ، والفاء في العربية ، فهذا يعني أن أصل الكلمة في العربية بالثاء ، وأما بالفاء فتطور عنها ، وهذا مع تأويل الفوم في القرآن بالثوم المعروف؛ لأنه فيه وجه آخر وهو: الحنطة والخبز من قولهمفوم موالنا يريد اختبزوا ، قال بالأول ابن عباس فيرواية ، والكساني ، والنضربن شميل ، والفراء ، والكلبي ، لأنه مع ما يشاكله من العدس والبصل وشبهه ، وتبعهم ابن جني والزمخشري ، وممن قال بهذا ابن عباس في رواية ، والزجاج ، والأخفش ، والأزهري ، وفيه قول ثالث قاله اللحياني ، وقال به الأزهري ، والقالي ، وهو الثوم والفوم : الحنطة . إذن فقد يكون كل من الفاء والفاء فونيمين مختلفين إذا كان المراد بالثوم النبات المعروف ، والمراد بالفوم الحنطة ، وقد يكون كل منهما ألفونين لمعنى واحد إذا كان الثوم هو نفسه الفوم (٣) .

(١) معجم القراءات ١٦٦/١ : ١٦٨ وانظر لسان العرب مادة " ع ش ا " ومادة " غ ش ا " ٢٩٥٩/٤ - ٣٢٦١/٥

(٢) وائل كمال ص ٧٦ العين ٥٨/١ والكتاب ٤٣٣/٤ - ٤٣٤ وسر صناعة الإعراب ١٧١/١ والأصوات اللغوية ص ٤٧ واللغة العربية معناها ومبناها ص ٧٩ .

(٣) معاني القرآن ٤١/١ ولسان العرب مادة " ل ث م " و" ل ف م " والكرمانى شواذ القراءات ٢٦/١ واللهجات العربية في التراث ٤١٧/٢ والمحتسب ٨٨/١ والكشاف ٢٨٥/١ .

" ﴿ ٤٤ ﴾ الأعراف [٤٤]"

قرأ بإبدال العين بالحاء : " نعم " (١) ، ويرى رايبين أن قراءة ابن مسعود هذه "نَدَم" بالحاء تناقض ما قيل من أن هذيلًا تقول دَم بالاحتفاظ بالعين وكسرها، لا تقلبها حاءً، وهناك رواية متأخرة تقول: إن القلب في العين للحاء كان تغييرًا خاصًا بلهجة سعد بن بكر في شمال المدينة، ولو كانت هذه الرواية قد وثقت بمصدرها لكان من الممكن الافتراض أن قراءة ابن مسعود "نَدَم" هي من تأثير لهجة المدينة عليه (٢).

" ٣٥] يوسف [

قرأ بإبدال الحاء بالعين : " عتَى " ، ويحدث هذا الإبدال في بعض اللهجات العربية، ويطلق على هذه الظاهرة اسم " الفحفة"، وذلك لعلاقة التجانس بين كل من الحاء والعين؛ فهما يتفقا في المخرج الحلقي ، وفي طريقة النطق وهي الاحتكاك، ولكن الفارق بينهما يكمن في الجهر الذي يميز صوت العين، في مقابل الهمس الذي يميز صوت الحاء (٣) ، والجهر والهمس يعنى بهما الاهتزاز في الوترين الصوتين في أثناء النطق بالصوت في الجهر، وانعدام الاهتزاز في الهمس؛ وقد قيل في الصوتين: لولا بحة الحاء لصارت عينا، والمقصود بالبحة هنا الهمس في هذا الصوت، وتعرّف هذه الظاهرة بأنها: قلب الحاء المهملة عينا، ويمكن أن تُفسر هذه الظاهرة بأنها نوع من ميل بعض القبائل إلى النطق بالأصوات المجهورة، وقد رفض هذه القراءة الخليفة عمر ابن الخطاب؛ لأنها ليست على لهجة قريش، فقد روي عنه أنه سمع رجلا يقرأ : "عتى حين" فقال : من أقرأك؟ قال : ابن مسعود ، فكتب إليه إن الله عز وجل أنزل هذا القرآن فجعله عربيًّا ، وأنزله بلغة قريش ، فأقروا الناس بلغة قريش ، ولا تقرنهم بلغة هذيل، والسلام" ، وقد روي عن ابن مسعود الإبدال في " حين " أيضا؛ فقرأ : " عتى عين " ويرجع أن هذا نوع من التصحيف والتحريف، لأنه لم ينقل عن الثقات من اللغويين مثل ذلك، وقد فسرت ظاهرة القلب في هذا الموضع في القرآن الكريم بأنه قد حدث لاستثقال تتابع الحاءين، فخولفت إحداهما وهي التي في حتى إلى العين (٤).

(١) قراءة ابن مسعود وائل كمالص ٧٢.

(٢) رايبين ص ١٥٤ .

(٣) علم اللغة دكتور صلاح حسنين ص ١٢٤ .

(٤) انظر العين ٥٧/١ وتهذيب اللغة ٤٨/١ وسر صناعة الإعراب ٢٤١/١ وتأويل مشكل القرآن ص ٣٩ والمحاسب ٣٤٣/١ والنهاية في غريب الحديث ١٨١/٣ والمزهر ٢٢٢/١ والاقتراح ص ٨٣ وتاج العروس مادة "ف ح ف ح" والكشاف ٣١٩/٢ وشرح شذور الذهب ص ٥٠ نشر الانشراح حاشية الاقتراح ص ٢٤٢ وأحمد تيمور لهجات العرب ص ١٣٤ واللهجات العربية في التراث ٣٧٣/١.

" ٧٧] الكهف [

" ٩٦] طه [

قرأ بإبدال الضاد بالصاد : "يَنقاص" ، " فقبضت قبضة" (١) ، ويحدث التبادل بينهما في لغة العرب، حكى الأصمعي في حديث قال: هو كلب يتمضمض عراقيب الناس ويتمضمض بالصاد والضاد، وقال الكسائي: الضبئل بالضاد الداھية ولغة بني ضبة الصبئل بالصاد، وقيل : انقاض الشئ انقاص بمعنى واحد، وقال الأصمعي: المنقاض : المنقعر، والمنقاص: المنشق طولاً، وانقاصت الركبة وانقاصت السن إذا انشقت طولاً، وأنشد لأبي نؤيب الهذلي(٢): " من الطويل "

فِرَاقٌ كَقَيْصِ السِّنِّ فَالصَّبِئِوِ لِكُلِّ أَناسٍ عَثْرَةٌ وَجُبُورٌ

ومثل ذلك في " قبضت قبضة" ، قال اللحياني: بالصاد لغة في قبضت قبضة (٣)، وزعم غيره أن القبضة أصغر من القبضة، ولأنها بأطراف الأصابع، وأما القبض بالضاد المعجمة: باليد كلها، ذلك أن الضاد لتفشيها واستطالة مخرجها جعلت عبارة عن الأكثر، والصاد لصفائها وانحصار مخرجها وضيق محلها جعلت عبارة عن الأقل، وهذا ما أطلق عليه ابن جني في الخصائص: " تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني" ، وسماه: " تقارب الألفاظ لتقارب المعاني في المحتسب" (٤).

(١) قراءة ابن مسعود وائل كمالص ٥٥ .

(٢) القلب والإبدال ص ٤٩-٥٠ وانظر لسان مادة " ص ب ل " و " ض ب ل " والمزهر ٥٥١/١ .

(٣) معاني القرآن للفراء ١٩٠/٢ وإصلاح المنطق ص ٦٠-٧٤-٧٥ والقلب والإبدال ص ٥٠ والطبري ٨/٥٠٤ والاشتقاق ص ١٩٤ وتهذيب اللغة ٣٨٤/٨ .

(٤) المحتسب لابن جني ٥٦-٥٥/٢ والخصائص لابن جني ١٤٧/٢: ١٥٤ .

" □ ◻ ◼ ◽ ◾ ◿ ◰ ◱ ◲ ◳ ◴ ◵ ◶ ◷ ◸ ◹ ◺ ◻ ◼ ◽ ◾ ◿ ◰ ◱ ◲ ◳ ◴ ◵ ◶ ◷ ◸ ◹ ◺ " القصص [١٥]

قرأ بإبدال الواو باللام في قراءة ، وبالنون في قراءة أخرى (١) ، : " فلكره " ، " فنكره " . وقراءة النون لغة في وكزه أي: ضربه ودفعه، قيل: بجمع كفه المضمومة أصابعها على ما أخرج غير واحد عن مجاهد، وقيل: الضرب باليد مجموعة أصابعها كعقد ثلاثة

وسبعين(٢)، وقرآءة اللام أيضا في وكزه أي: ضربه بجمع الكف ، وقال الفراء :معناهما واحد وهو الدفع، وقيل : اللكز على اللحي والوكز على القلب، وقيل : الوكز والنكز واللكز: الدفع بأطراف الأصابع على الصدر، وقد رُدَّ الإبدال بين أصوات اللام والنون والواو في هذه القراءات إلى اختلاف نطق اللهجات العربية (٣) ، واللغات السامية (٤). ويلاحظ أن في كل من أصوات اللام والنون والواو سمات مشتركة ومتقاربة تُسبغ هذا الإبدال الحادث فيما بينهم في هذه الكلمة؛ فالنون واللام مخرجهما لثوي أسناني، لكن الفارق بينهما في هذه النقطة هو أن النون لها مخرج آخر يشترك مع المخرج اللثوي الأسناني في نطق هذا الصوت، وهو المخرج الأنفي؛ لذلك يطلق على النون صوت أنفي، واللام في أثناء خروجه من المخرج اللثوي الأسناني يمر هواء الزفير خارجا من طرفي أو جانبي اللسان؛ فيطلق على اللام لذلك صوت جانبي، وكلاهما صوت متوسط في طريقة النطق، وكلاهما صوت مجهور، وقد وصف ابن الجزري صوت اللام بصفة الانحراف فهو ينحرف في مخرجه حتى يتصل بمخرج الضاد والنون؛ ويمكن إدراك هذا في اللحن الذي يلحن به بعض الناطقين بهذا الصوت إذا لم يحترسوا في نطقه . والواو بالنسبة للنون واللام صوت شفوي فبينهم تقارب في المخرج، وهو صوت متوسط أيضا كالنون واللام ، وهو صوت مجهور(٥) .

(١) وائل كمال ص ٥٩ .

(٢) سر صناعة الإعراب ١/٨-٢/٥٧٣ والأصوات اللغوية ص ٤٢-٤٣ والتمهيد في علم التجويد ص ٢٢ .

(٣) العين ١/٥٨ والكتاب ٤/٤٣٢-٤٣٣-٤٣٥ والمقتضب ١/٣٢٩-٣٣٠-٣٣١ وتهذيب اللغة ١/٤٨١ الفراء ٢/٣٠٤ ولسان العرب مادة " ن ك ز " قيل في جبريل وهي لغة تنسب لأهل الحجاز : جبرين ، وتنسب هذه اللغة لبني أسد ، وفي إسرائيل في لغة قريش : إسرائيلين على لغة بني تميم انظر القلب والإبدال ص ٤ - ٥ .

(٤) الإبدال في ضوء اللغات السامية ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٥) الكتاب ٤/٤٣٥ وعلم الأصوات المقارن ص ٣٢ ومناهج البحث في اللغة ص ١٠٧ ودراسات في علم الأصوات ص ٦٧-٧٣-٧٤-٧٥ .

" ﴿ ١٧ ﴾ محمد " ﴿ ١٧ ﴾

" ﴿ ١ ﴾ الكوثر [١]

قرأ بإبدال العين بالنون في سورة محمد : " وأنظاهم " ، من الفعل (أعطى) ، وفي سورة الكوثر قرأ : " أنظيناك " (١).

ويطلق على هذه الظاهرة في نطق اللهجات العربية اسم الاستنطاء، وهو يعنى به : جعل العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء (٢)، وقد اختص بهذه الظاهرة الفعل " أعطى " الذي ينطق في لهجات بعض القبائل العربية " أنطى"، وقد وردت هذه اللمعة على لسان النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عطية السعدي : " وفدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من بني سعد بن ليث فقال لي: ما أنطاك الله فخذ ولا تسأل الناس شيئا، فإن اليد العليا هي المنطية ، واليد السفلى المنطاة ، وإن مال الله مسنول ومنطى، يكلمني رسول الله بلغتنا "، ومنه قولهم : " اللهم لا مانع لما أنطيت ولا منطى لما منعت " .

ولعل ورود هذه الظاهرة على لسان النبي صلى الله عليه وسلم يؤكد مدى شهرتها وانتشارها(٣). وقد ورثت العربية هذه الظاهرة من السامية الأم، وتظهر في اللهجات الشمالية والجنوبية .

(١) وائل كمال ص ٦٠:٦٤

(٢) المزهر ١٠٩/١ والاقتراح ص ٩٩ واللهجات العربية في التراث ٣٨٥/١ وفصول في فقه اللغة ص ١٢٠ ومنهج في التطور اللغوي ص ٥٩

(٣) انظر البيهقي السنن الكبرى ١٩٨/٤ (٧٦٧٣) ومميزات لغة العرب لعبد الوهاب حمودة ص ٧١ القاموس المحيط " ن ط و " النهاية في غريب الحديث ٧٦/٥٠ والبخاري ٢١٤/١-١٥٧/٨-١١٨/٩ ومسلم ٣٤٧/١ (٤٧٧)- (٨١٧/٢) (١٣١٤) وابن ماجه ٢٨٤-٢٨٥ (٨٧٩) والنسائي ١٩٩/٢

وقيل : إن كل من اللفظين لغة بذاتها لا قلب فيها(١)؛ فبعد العلاقة بين الصوتين المبدلين لا يؤيد وجود القلب فيهما؛ فالقلب لا يكون إلا بين صوتين متقاربين مخرجا وصفة(٢)، ولذلك اختلفت الآراء في تفسير القلب في هذه الظاهرة اللغوية؛ فقيل : إن السبب هو مجاورة العين للطاء (٣)، وقد رفضه البعض (٤)؛ فلا يوجد مؤثر معين في صوت الطاء يكون عاملا لقلب العين إلى النون في هذا الفعل، وقال بعضهم : إن السبب هو العلاقة بين النون والعين فهما يشتركان في بعض الصفات وهي الجهر، والتوسط بين الشدة والرخاوة ، ويُضاف إلى ذلك أن النون من أكثر الأصوات دورانا في اللغات السامية، ومن أكثر الأصوات الساكنة وضوحا وظهورا ، وفسد بعض العلماء هذه الظاهرة باختلاف نطق العين القديمة ؛ فقد كانت تنطق بشئ من التنين أي أنه كان للمخرج الأنفي دورا في نطقها، فُدسمع وكأنها ممتزجة بالنون ولكنها ليست نونا على الحقيقة، بل هي الغنة التي طغت مع مرور الوقت على نطق العين، فأبدلتها بالنون ؛ فهذا ما أساغ هذا النوع من القلب في الفعل " أعطى " (٥).

(١) البحر المحيط ٥٢٠/٨

(٢) فصول في فقه اللغة لصالح سالم عبد القادر ص ١٢١ والدلالة الصوتية في اللغة العربية ص ٨١

(٣) مميزات لغة العرب ص ١٥

(٤) من لغات العرب ص ١١٤

(٥) اللهجات العربية في التراث ٣٨٧/١-٣٨٨ وفي اللهجات العربية ص ١٤٢ المدخل في علم الأصوات المقارن ص ٢٦٠

" ﴿ ٥ ﴾ قافورا " الإنسان [٥]

قرأ بإبدال الكاف بالقاف : " قافورا " (١) .

وقد قيل : إن القافور لغة في الكافور، قاله غير واحد، وقال ابن دريد : لا أحسب عربياً؛ لأنهم ربما قالوا: القفور والقافور (٢). وقد ذكرت العديد من المصادر انتشار هذا النوع من الإبدال بين الكاف والقاف يقول الدكتور عبد المنعم المحجوب في كتابه ما قبل اللغة الجذور السومرية للغة العربية واللغات الأفروآسيوية (٣): " إن العربية على سبيل المثال قد اختلفت تصويطات حروفها، وقد كانت إحدى الملاحظات المبكرة لابن سينا في رسالة " أسباب حدوث الحروف " إشارته إلى تغيير طراً على نطق الكاف؛ يقول: " وأما الكاف التي تستعملها العرب في عصرنا هذا بدل القاف فهي تحدث حيث تحدث الكاف إلا أنها أدخل قليلاً، والحبس أضعف " ، ومن ظواهر كثيرة متأخرة نجد أن حرفين هما الضاد والطاء يتحدان في الكلام " . وهذا الإبدال بين الكاف والقاف له مايسوغه لما بينهما من الكثير من مواطن التشابه، مع ملاحظة حقيقة مهمة

هي اختلاف نطق القاف القديمة عن نطقها الحالي، فالقاف الحديثة صوت لهوي وقفي مهموس، والقاف القديمة خاصة في نطق قبائل نجد كتميم مثلا صوت طبقي وقفي مجهور أيينطق نطق الكاف الفارسية أو نطق الجيم في العامية المصرية /g/ .

التكوير [١١]

قرأ بإبدال الكاف بالقاف : " قشطت "

وقيل : إن قشطت لغة في كشطت(٤)، والمعنى واحد وهو : نزعت وطويت .

(١) وائل كمال ص ٥٧-٥٨

(٢) الفراء ٢٤٢/٣ والكشاف ٢٢٣/٤

(٣) ما قبل اللغة ص ١٢١-١٢٢

(٤) وائل كمال ص ٥٧-٥٨ الفراء ٢٤١/٣ الزجاج ٢٩١/٥ الإبدال والمعاقبة ص ٧٩

"

التكوير [٢٤]

قرأ بإبدال الضاد بالعين : " بظنين "

ويحدث الإبدال بينهما في لهجات القبائل العربية(١)، فنطق الظاء القديمة كان قريبا من نطق الضاد(٢)، وقد اختلفت الدلالة في القراءتين، ف قيل في قراءة الضاد: إنها بمعنى : ما هو ببخيل يشح به لا يبلغ ما قيل له ويبخل كما يفعل الكاهن حتى يُعطي حلوانه، وهي لغة قريش، وقيل في قراءة الظاء: إنها تعني: ما هو بمتهم على الغيب بلغة هذيل(٣)، وقيل: ما هو بضعيف القوة على التبليغ، فهو متحمل له، والعرب تقول للرجل الضعيف أو القليل الحيلة: هو ظنون، قال الفراء: وسمعت بعض قضاة يقول: ربما ذلك على الرأي الظنون، يريد الضعيف من الرجال، فإن يكن معنى ظنين: ضعيفا فهو كما قيل: ماء شروب وشريب. ويلاحظ في صوتي الظاء والضاد أنهما يشتركان في كثير من السمات التي تُجيز الإبدال بينهما في النطق، فكلاهما صوت مطبق مجهور، وأما بالنسبة لطريقة النطق سواء كانت الوقف أو الاحتكاك فهذه السمة تختلف

فإذا العانة في كَهْرٍ الضُّحَى دونها أَحْقَبُ ذو لحم زِيمَ

والإبدال بين القاف والكاف لقرب المخرج والصفات، ولسهولة نطق الكاف، وهو موجود في اللهجات العربية، واللغات السامية^(٣)، وقد رفض النحاس كونها لغة، وقال: إنما يقال كهره إذا اشتد عليه وغلظ^(٤)، فقليل: القهر: الغلبة، والكهر: الزجر، وقال أبو زيد: الكهر إذا عبس، وبه قال الزمخشري، وتعقبهم أبو حيان فقال: هي لغة قراءة الكاف مثل قراءة الجمهور^(٥).

-
- (١) وائل كمال ص ٥٦: ٥٨ العين ٥٨/١ والكتاب ٤٣٣/٤-٤٣٤ والمقتضب ٣٢٨/١-٣٣١-٣٣٢ وتهذيب اللغة ٤٨/١ والأصوات اللغوية ص ٣-٨٤ ودروس في علم الأصوات ص ١٠١ واللغة العربية معناها ومبناها ص ٧٩ ومناهج البحث في اللغة ص ١٢٣-١٢٩-١٣٠
- (٢) الكسائي ما تلحن فيه العامة ص ٤٠ معاني القرآن ٣/٢٧٤ والقلب والإبدال ص ٣٧ والإبدال والمعاقبة ص ٧٨-٧٩ صحيح مسلم ٢/٦٩٢ والسنن الصغير للنسائي ٣/١٧ (١٢١٨) والسنن الكبرى ١/١٩٨-٣٦٢ (٥٥٦) - (١١٤١) السرقسطي كتاب الأفعال ٢/١٧٩
- (٣) ومنه في لغة تميم الكمح في مقابل القمح انظر دراسة الصوت أحمد مختار عمر ص ٣٩٧ القرطبي ٨/٧١٩٠ السرقسطي ٢/١٧٩
- (٤) الكشف ٤/ ٢٢٠ البحر المحيط ٨/٤٨٢

ثانيا : الإبدال في الصوائت :

وكما يحدث الإبدال بين الصوائت يحدث بين الحركات ، وقد شهد واقع اللهجات العربية الكثير من صور الإبدال الحركي ، والتي تمثلت في نطق كلمات معينة بحركات مختلفة ، دون أن يكون لذلك أي تأثير في الدلالة فيها ، فتتطق الكلمة مرة بالضم ، وأخرى بالكسر ، وقد تتنطق أيضا بالفتح ، ولا يكون ذلك إلا صور أدائية لنفس الكلمة ، تنوعت على أسنة القبائل العربية شرقا وغربا .

وقد عرف عن بعض القبائل ميلها لنطق حركات معينة دون الأخرى ، فتنشر في نطقهم ، وتُنسب في معظم الروايات إليهم .(١)

وقد ظهر الإبدال الحركي في قراءة ابن مسعود على هذا النحو :

كلنا يعلم التقسيم الشائع للقبائل العربية ، في شبه الجزيرة العربية ، إلى شرقية مثل :

(تميم ، قيس ، أسد ، سليم) ، وإلى غربية مثل : (قريش ، هذيل ، الأنصار، ثقيف ، كنانة) ، وقد قرئ بأشهر الظواهر اللغوية لبعض هذه القبائل في القرآن الكريم ، في قراءته المختلفة .

وقد قرأ ابن مسعود بظاهرة الإبدال الصوتي في الصوامت ، وقد نُسبت معظمها للهجات القبائل الشرقية ، خاصة تميم ، فقد نُسبت قراءة ابن مسعود : " وثومها " في سورة البقرة لنطق قبيلة تميم ،

والثوم لهجة بني تميم(١) " قال تعالى : " فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقتّائها وثومها وعدسها وبصلها " وقد فسره القوم بأنه :

١- الحنطة

٢ - الثوم المشاكل للبصل . وأن الفاء مبدلة من الثاء ، وهذا رأي الكسائي والفرّاء ويذكر الكرمانى (ت ٥٠٥هـ) أن الثوم لغة بني تميم ، وبها قرأ ابن مسعود ، وابن عباس

ويعنينا هنا أن كلمة الثوم المشاكل للبصل نطقت أيضا بالفاء وأن النطق الأول خاص ببني تميم فأى النطقين هو الأصل وأيها المتطور عنه ؟ إذا لجأنا إلى الساميات نجد أن الشين العبرية تقابل التاء في الآرامية والثاء في العربية ، وإذا كانت كلمة الثوم في العربية يقابلها شوم Suum في العبرية وتوما tawmma في الآرامية، فهذا يعني أن أصل الكلمة في العربية بالثاء وأما الفاء فتطور عنها. ويؤكد أيضا قدم النطق التميمي وتطور الآخر عنه . وقد ذكرنا عند الحديث عن "الإبدال عند تميم" الصلة بين الصوتين التي تجعل إبدال أحدهما من الآخر أمر تقره القوانين الصوتية " (٢).

وقرأ ابن مسعود في سورة التكوير: " بظنين "، بالطاء عل لهجة تميم، وقيل في هذه القراءة :إنها بمعنى: ما هو بمتهم على الغيب، وقيل : هي لغة تميم (١)، وقيل : هي لغة هذيل (٢) .

(١) الكرمانى شواذ القراءات مخطوط بمكتبة الأزهر ٢٦/١ - وانظر الكشف للزمخشري ١٠٨/١ وسر صناعة الإعراب لابن جدي ٢٥٢/١ - والمحتسب لابن

جدي ١٠٠/٢ - والبحر المحيط لأبي حيان ٢٣٩/٦ - ولسان العرب مادة " ل ث م " ٩/١٦ ومادة " ف و م " ٥/١٦ - والمزهر في علوم اللغة للسيوطي ٤٦٥/١

(٢) لغة تميم دراسة تاريخية وصفية ص ١٣٢-١٣٣ - وانظر معاني القرآن للفراء ٤١/١ - والمحتسب لابن جني ٨٨/١ - والكشاف للزمخشري ٢٨٥/١ - وتهذيب اللغة

للأزهري ٥٧٣/٥

(٣) المزهر في علوم اللغة ٥٦١/١-٥٦٢ وانظر سر صناعة الإعراب ٢٢٢/١

(٤) الفراء ٢٤٢/٣-٢٤٣ وانظر تهذيب اللغة ١١٦٧/١-٤٦٨ والبحر المحيط ٤٤٦/٨

وقد عُرِف عن قبيلة هذيل أن لها وضعاً خاصاً بين القبائل العربية ؛ فهي رغم كونها قبيلة من القبائل التي تسكن الجانب الغربي من شبه الجزيرة العربية ، حكم لها موقعها الجغرافي

الجوار مع القبائل الشرقية ، التي تأثرت بهم كثيرا في أسلوب حياتها اليومية ، على كل المستويات ، ومنها مستوى اللهجة ، التي ظهرت فيها ظواهر لغوية كثيرة منتسبة لهذه القبائل .

وقرأ ابن مسعود في سورة الضحى : " فلا تكهر " بالكاف وتنسب قراءة الكاف للهجة من لهجات بني تميم ، وهي لغة في قراءة القاف،بمعنى : الانتهاز،وقد سمعها الفراء من أعرابي من بني أسد (١).

وكذلك قراءته في سورة التكوير : " قشطت " بالقاف ، وقد نسبت قراءة القاف للغة تميم وأسد وقيس(٢) : " يذكر يعقوب بن السكيت (ت سنة ٢٤٤ هـ) أن تميما كانت تقول : " قشطت " بمعنى : نزع وكشف شاركتها في ذلك أسد وقيس في مقابل " كشط " عند قريش ، وفي رواية أخرى عن يعقوب أيضا أن أسدا وحدها هي التي شاركت تميما في مقابل "كشط" عند قيس أو عند قريش، ونحن نرجح نسبة " كشط" إلى " قريش" بدليل ورودها في القرآن الكريم في سورة مكية، قال تعالى : " وإذا السماء كشطت " ، وقرئ بها كذلك في القراءات المعتد بها، وأما قيس وهي قبيلة نجدية فيانسبها الصيغة التميمية ، وأعتقد أن الرواية التي تنسب إليها " كشط" حرفت فيها " قريش" إلى " قيس " ومما يرجح هذا التحريف أن الروائتين تنسبان إلى شخص واحد وهو يعقوب بن السكيت . والرواية التي تنسب إلى قريش توجد في كتاب ابن السكيت نفسه . أما التي تنسب إلى قيس فهي في كتاب المحكم لابن سيده ، وعنه نقل من جاء بعده ممن رجع إليه مثل ابن منظور والزبيدي . ثم إن ابن سيده نفسه يعزو في موضع آخر وهو " كشط" إلى قريش في الموضعين ينقل عن ابن السكيت كما يذكر في كتاب آخر غير المحكم وهو " المخصص" رواية ابن السكيت وفيها يعزو الصيغة الكافية " كشط" إلى قريش لا إلى قيس على أن الذي يعيننا هنا أن تميما أثرت القاف والمراد " الكاف " وبلغتها أو بالفصحى القريبة منها قرأ ابن مسعود وعامر بن شراحيل الشعبي، وإبراهيم بن يزيد النخعي ، قوله تعالى : " وإذا السماء قشطت " ومن المعاجم اللغوية أن نقول : إن الصيغة القرشية هي الصيغة القديمة ، والصيغة التميمية هي الصيغة الأحدث " إذ نجد المعنى العام لمادة " كشط" المحو والإزالة في حين إننا نجد بعض المعاجم تهمل " قشط" ، وذلك مثل مقاييس اللغة لابن فارس ، والصحاح للجوهري ، والمعاجم التي ذكرتها لا تعدو أن تكرر ما ورد في " كشط" مع حذف بعض المعاني الواردة فيها " (٣).

(١) الكسائي ما تلحن فيه العامة ص ٤٠ ومعاني القرآن للفراء ٣ / ٢٧٤ (٢) القلب والإبدال ص ٣٧ وانظر المخصص لابن سيده ٢٧٧/١٣ وسر صناعة الإعراب ٢٧٧/١ (٣) لغة تميم دراسة تاريخية وصفية دكتور ضاحي عبد الباقي ص ١٠٣-١٠٠

وقرأ ابن مسعود بظاهرة الاستنطاء ، التي نسبت في بعض الروايات لنطق قبائل نجد كتميم ، وقيس ، وسعد بن بكر ، وهناك من نسبها للهجة هذيل ، وهي من قبائل الحجاز(١).

ويقول أبو حيَّان في الاحتجاج عن هذه القراءة (٢١): "إنَّما أعطيناك الكوثر" وقرأ الجمهور أعطيناك بالعين ، والحسن وطلحة وابن محيصن والزعفراني أنطيناك بالنون ، وهي قراءة مروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال التبريزي : هي لغة العرب العاربة من أولى قريش ومن كلامه - صلى الله عليه وسلم - : " اليد العليا المنطية خير من اليد السفلى المنطاة " ومن كلامه أيضا - عليه الصلاة والسلام : " وأنطوا الفيحة " قال الأعشى

جِيَادُكَ خَيْرُ جِيَادِ الْمُدُوكِ تُصَانُ الْخِلَالَ وَتُنطَى السَّعِيرِ

قال أبو الفضل الرازي وأبو زكريا التبريزي : أبدل من العين نونا فإن عنيا النون في هذه اللغة مكان العين في غيرها فحسن ، وإن عنيا البدل الصناعي فليس كذلك ، بل كل واحد من اللغتين أصل بنفسها لوجود تمام التصرف من كل واحدة فلا يقول : الأصل العين ثم أبدلت النون منها".

(١) البحر المحيط ٢٥٠/٨ وانظر المزهر في علوم اللغة ٢٢٢/١ ولهجات العربص ١١٣ ومن لغات العرب لهجة هذيل ص ١١٥ ولهجات العربية الغربية القديمة لرابين ص ١٠٦

(٢) البحر المحيط ٥٢٠/٨

وقرأ ابن مسعود في سورة يوسف على لهجة هذيل في ظاهرة من أهم وأشهر الظواهر اللغوية ، وهذه الظاهرة هي الفحفة ، وقد نسبت هذه الظاهرة في الغالب لهجة قبيلة هذيل حتى أنها اقترنت بها لفظا فليل : فحفة هذيل ، يقول رابين في كتابه اللهجات العربية القديمة

في غرب الجزيرة العربية : " وابن مسعود الهذلي قد قرأ الآية ٣٥ في سورة يوسف عدّى حين في حتّى عين وقد عزاه الشراح والنحاة إلى لهجة هذيل (ابن جذّي، المحتسب ، ص ٢٣ ، ابن مالك التسهيل ص ٥٧ ، البيضاوي ١/٤٦٠... إلخ). وتعتبر بعض المراجع المتأخرة جعل الحاء عينا قاعدة عامة في لهجة هذيل " السيوطي المزهر ١/٣٣ هـ العنطابي ، قاموس ترك ١/٢٨٤ ، وتعطي أمثلة قليلة أخرى غير عتي حين ، واليازجي (في مؤتمر الاستشراق السابع ٧٧/٢) من ناحية ثانية ، يذكر لنا جملة كاملة في لهجة هذيل : " اللحم الأحمر أحسن من اللحم الأبيض " . وبما أن اليازجي لا يسمي مراجعه ، مع حريته في ذكر الأمثلة التي ليس لها مكان ، فليس في إمكاني إلا أن نتعامل معها بريبة " (١).

وهناك من ينسب هذه الظاهرة لقبائل البدو ، يقول راببن في كتابه اللهجات العربية الغربية القديمة : " ومن الرواة من نسب هذه الظاهرة في عمومها إلى نطق لهجات البادية وهذا ما يرجعنا إلى ماسبق أن لاحظناه من تأثير قبائل البدو في لهجة هذيل الحجازية " ويشبه السيوطي جعل الحاء عينا بفحفة هذيل التي ذكرتها المصنفات وتعني البُدّة في الصوت . والرحالة في الجزيرة العربية يلفتون النظر إلى استمرار هذه الفحفة بين البدو، ككتابع الصباح الندي " (٢).

وبالنسبة لمواضع الإبدال الحركي في قراءة ابن مسعود ، نُسبت الكلمات المضمومة الأول في معظم الروايات لنطق قبائل البدو خاصة تميم ونُسبت الكلمات المكسورة الأول في القراءات الأخرى لنطق قبائل الحضر وقد فسّر الدكتور إبراهيم أنيس ذلك بميل القبائل البدوية للنطق بالضمّة ، التي تتوافق مع طابعهم البدوي، ومظاهر الرعونة والخشونة التي يتصفون بها (٣) ، ولكن هذا لا يمنع من أن ينعكس الوضع في روايات أخرى، فالحاكم في نسبة ظاهرة لغوية معينة لنطق قبائل معينة هو الكثرة الغالبة من الروايات، التي تؤكد هذه النسبة .

وفي المواضع التي قرأ فيها ابن مسعود بالكسر في أوائل الكلمات في مقابل الفتح ، نسبت الكلمات المكسورة لنطق قبائل البدو في معظم الروايات ، ونسب الفتح لنطق قبائل الحضر التي تميل إلى نطق الفتحة ؛ لخفتها على ألسنتهم (٤).

(١) اللهجات العربية القديمة ص ١٧٢-١٧٣

(٢) نفس المرجع السابق

(٣) في اللهجات العربية ص ٩٠-٩١ .

(٤) في اللهجات العربية ص ١٢٩- وانظر من لغات العرب لهجة هذيل- دكتور عبد الجواد الطيب ص ٣٠-٣١

وقد ذكرت كتب التراث أن هناك بعض الكلمات التي كان ينطقها بعض التميميين بالفتح على لهجة الحجاز والعكس صحيح (١) ولكن هذه حالات قليلة لا تُؤدّر على القاعدة العامة التي

تنسب لهجة الفتح لقبائل الحجاز، وتنسب لهجة الكسر لقبائل نجد، فيميل الحجازيون للحركات الخفيفة، والفتحة أخف الحركات عند العرب، ويميل النجديون بطابعهم البدوي إلى الحركات الثقيلة، وأثقل الحركات عند العرب هي الضمة ثم الكسرة(٢).

وفي المواضع التي قرأ فيها ابن مسعود بالضم في أوائل الكلمات في مقابل الفتح ، والعكس صحيح ، نسب الضم للهجات البدو ، ونسب الفتح للهجات الحضر ، في معظم الروايات ، والعكس صحيح في بعض الروايات الأخرى القليلة(٣).

(١) اللهجات العربية ص ١٢٩ .

(٢) اللهجات العربية ص ١٣٥ .

(٣) اللهجات العربية في القراءات القرآنية. دكتور عبده الرَّاجحي ص ١٣٢ .

الخاتمة :

في الختام يلاحظ تنوع مظاهر الإبدال الصوتي في قراءة ابن مسعود ؛ فقد قرأ بظواهر تميزت بها قراءته ، نحو قراءته بالفحفة على لهجة هذيل ، هذه القراءة التي لم يؤيدها الخليفة عمر بن الخطاب ، فقد روي عنه أنه سمع أحد الصحابة يقرأ : " عتي حين " ، فسأله من أقرأك هذه القراءة ؟ فقال : عبد الله بن مسعود ، فكتب له عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأمره أن يُقرئ الناس بلهجة قريش ، وليس بلهجة هذيل .

وكذلك قراءته بظاهرة الاستنطاء في الفعل (أعطى الذي ينطق أنطى) ، وهذه الظاهرة من الظواهر شديدة الخصوصية ؛ لما فيها من الجدل بين العلماء في سبب وقوعها في هذه الكلمة دون غيرها .

وبشكل عام يُظهر الإبدال الصامتي والصائتي في قراءة ابن مسعود تأثير عدة عوامل في اختياره لحروف قراءته ؛ فقد مزجت قراءته بين اللهجات الغربية والشرقية ، فظهر بوضوح تأثير أصوله الهذيلية في قراءته ، وتأثير القبائل البدوية المنعكس على نطق قبيلته هذيل في قراءته أيضا ، وكذلك تأثير نطق القبائل الغربية التي نشأ فيها في كنف النبي صلى الله عليه وسلم .

وإذا نظرنا إلى المسألة بصورة أشمل وأعم نجد أن هذه القراءة وغيرها تظهر بحق إعجاز القرآن الكريم بقراءته ، التي كانت ومازالت تستظل ثبوتا لغويا عظيما ، قدر الله له حفظ اللغة العربية بكل مستوياتها وطرق أدائها المختلفة ، التي تمثلت في نطق القبائل العربية شرقا وغربا ، وعلى العكس أيضا كانت اللغة العربية ضمانا لحفظ القرآن الكريم إلى أن تقوم الساعة .

قائمة المراجع والمصادر التي اعتمد عليها البحث :

- ١- ابن الأثير - النهاية في غريب الحديث - تحقيق محمود الطناحي - المكتبة العلمية - د. ت. بيروت ١٩٨٧ .
- ٢- ابن الجوزي - زاد المسير في علم التفسير - تحقيق محمد بن عبد الرحمن عبدالله - دار الفكر - ١٩٨٧ م .
- * المنتظم في تاريخ الأمم والملوك - تحقيق محمد عبد القادر ومصطفى عطا - دار الكتب العلمية - ١٩٩٢ م .
- ٣- ابن السكيت - إصلاح المنطق - تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون - دار المعارف - ١٩٧٠ م .
- * القلب والإبدال - نشر أوغست هفتر - مجموعة الكنز اللغوي - المطبعة الكاثوليكية - بيروت - ١٩٠٣ م .
- ٤- ابن النديم- الفهرست- ضبطه وشرحه وعلق عليه وقدم له الدكتور يوسف علي الطويل- وضع فهرسه أحمد شمس الدين- ط١- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان .
- ٥- ابن جدِّي - المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها - تحقيق علي النجدي ناصف - والدكتور عبد الحليم النجار - والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية _ لجنة إحياء كتب السنة بوزارة الأوقاف - القاهرة - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .
- * الخصائص - تحقيق محمد علي النجار - دار الهدى للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .
- * سر صناعة الإعراب - تحقيق حسن هنداوي - دار القلم - دمشق - ١٩٩٣ م .
- ٦- ابن سعد - الطبقات الكبرى - تحقيق محمد عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - ١٩٩٠ .
- ٧- ابن سيده - المخصص - دار الفكر - ١٩٧٨ .
- ٨- ابن عبد البر - تحقيق محمد الفلاح وآخرين - ١٩٨٠ م .
- ٩- ابن عماد الحنبلي - شذرات الذهب في أخبار من ذهب - طبع المكتب التجاري للطباعة والنشر - د. ت. بيروت - لبنان .
- ١٠- ابن قتيبة - * تأويل مشكل القرآن - تحقيق السيد أحمد صقر - دار التراث - ١٩٧٣ م .
- ١١- ابن قيم الجوزية - أعلام الموقعين عن رب العالمين - تحقيق محمد محيي الدين - ط١ - جامعة القاهرة .
- ١٢- ابن كثير- البداية والنهاية- تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرين - دار الريان للقرآن - ١٩٨٨ م .

- ١٣- ابن منظور - لسان العرب - تحقيق عبدالله علي الكبير - ومحمد أحمد حسب الله - هاشم محمد الشاذلي - طبعة جديدة - الناشر دار المعارف المصرية .
- ١٤- ابن هشام - شرح شذور الذهب - تحقيق الدكتور محمد ياسر شرف - ط ١ - ١٩٩٠م - متبة لبنان - بيروت .
- ١٥- أبو حيان التوحيدي - البحر المحيط - مطبعة السعادة - د.ت - دار الكتب العلمية - ١٩٩٠م .
- ١٦- أبو هلال العسكري - الصناعتين - تحقيق مفيد قميحة - دار الكتب العلمية - د.ت .
- ١٧- إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية - ط ٣ - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة .
- * في اللهجات العربية - ط ٥ - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة .
- ١٨- إبراهيم نجا - اللهجات العربية - ط ١ - ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م - دار الحديث .
- ١٩- إبراهيم محمد خان - فقه اللغة العربية - دار الطباعة المحمدية - درب الأتراك بالأزهر - القاهرة .
- ٢٠- أحمد تيمور - لهجات العرب - الهيئة المصرية للكتاب - ١٩٧٣ م .
- ٢١- أحمد علم الدين الجندي - اللهجات العربية في التراث " القسم الأول في النظامين الصوتي والصرفي " - طبعة جديدة - الدار العربية للكتاب .
- ٢٢- أحمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم - معجم القراءات القرآنية - مطبوعات جامعة الكويت - الطبعة الثانية - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م .
- ٢٣- الأزهري - تهذيب اللغة - تحقيق عبد السلام هارون وآخرين - الدار المصرية للتأليف والترجمة - ١٩٧٤ م .
- * معاني القراءات - تحقيق ودراسة عيد مصطفى عوض القوزي - ط ١ - ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م - دار المعارف .
- ٢٤- الألوسي - روح المعاني - دار الفكر العربي - ١٩٩٠م .
- ٢٥- البخاري - صحيح البخاري - دار الجيل - بيروت - د.ت .
- ٢٦- البغدادي - تاريخ بغداد أو مدينة السلام - دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا - منشورات محمد بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ٢٧- البيهقي - السنن الكبرى - تحقيق محمد عطا - دار الكتب العلمية - ١٩٩٤ م .
- * السنن الصغرى - تحقيق عبد السلام عبد الشافي - أحمد قباني - دار الكتب العلمية - ١٩٩٢ م .

- ٢٨- الخليل بن أحمد الفراهيدي - العين - تحقيق عبد الله درويش - مطبعة العاني - بغداد - ١٩٦٧ م .
- ٢٩- الذهبي - تاريخ الإسلام - تحقيق عمر عبد السلام - دار الكتاب العربي - ١٩٩٤ م .
- * سير أعلام النبلاء - تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين - مؤسسة الرسالة - ١٩٩٠ م .
- ٣٠- الزبيدي - تاج العروس من جواهر القاموس - تحقيق عبد العليم الطحاوي - وزارة الإعلام الكويتية ١٩٨٠ م .
- ٣١- الزجاج - إعراب القرآن المنسوب له - تحقيق إبراهيم الإبياري - دار الكاتب العربي - ١- وهو نفسه كتاب الجوهرة اللباقولي كما في مقدمة كشف المعضلات وإيضاح المعضلات .
- * معاني القرآن وإعرابه - تحقيق عبد الجليل شلبي - دار الحديث - ١٩٩٤ م .
- ٣٢- الزركشي - البرهان في علوم القرآن - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعرفة - بيروت - ٢ - د.ت .
- ٣٣- الزمخشري - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - دار الفكر - ١٩٧٧ م .
- ٣٤- السهيلي - التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم - ١ - دار الكتب العلمية - ١٩٨٧ م .
- ٣٥- السيوطي - الإتقان في علوم القرآن - المكتبة الثقافية - ١٩٧٣ م .
- ٣٦- الطبراني - المعجم الكبير - تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي - ٢ - مطبعة الزهراء الحديثة - الموصل .
- ٣٧- الطبري - مجمع البيان في تأويل القرآن - المطبعة اليمنية - د.ت .
- ٣٨- الفراء - معاني القرآن - ٣ - عالم الكتب - بيروت - لبنان .
- ٣٩- القرطبي - الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي القرآن - دار الكاتب العربي .
- ٤٠- الكرمانلي - شواذ القراءات - مخطوطة بمكتبة الأزهر - برقم ٢٤٤ قراءات .
- ٤١- الكسائي - ما تلحن فيه العوام .
- ٤٢- المبرد - الكامل - تحقيق محمد أحمد الدالي - مؤسسة الرسالة - ١٩٩٣ م .
- * المقتضب - تحقيق عبد الخالق عزيمة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ١٤٢٥ هـ .
- ٤٣- النسائي - السنن الكبرى - تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري - سيد كسروي حسن - دار الكتب العلمية - ١٩٩٦ م .

- ٤٤- رايبين - اللهجات العربية الغربية القديمة - ترجمة عبد الرحمن أيوب - جامعة الكويت - ١٩٨٦ م .
- ٤٥- رمضان عبد التواب- التطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانينه - ط٢ - مكتبة الخانجي - القاهرة .
- * المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي - ط٢ - مكتبة الخانجي - القاهرة .
- * فصول في فقه اللغة - ط٢ - مكتبة الخانجي - القاهرة .
- ٤٦- سيوييه - الكتاب - تحقيق وشرح عبد السلام هارون - ط١- دار الجيل - بيروت- لبنان .
- ٤٧- صلاح حسنين - المدخل في علم الأصوات المقارن دراسة مقارنة - ط١ - ١٩٨١ م - مكتبة كلية الدراسات العربية والإسلامية .
- * دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن - ط٢ - ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ م - توزيع مكتبة الآداب .
- ٤٨- ضاحي عبد الباقي - لغة تميم دراسة تاريخية وصفية - ط١ - د.ت - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - القاهرة .
- ٤٩- عبد الجواد الطيب - من لغات العرب لهجة هذيل - منشورات جامعة الفاتح .
- ٥٠- عبده الراجحي - اللهجات العربية في القراءات القرآنية - دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية .
- ٥١- مسلم - صحيح مسلم - بشرح النووي - تحقيق عبد المعطي أمين قلنجي - المكتبة القيمة - د.ت .
- ٥٢- وائل كمال محمد - قراءة عبد الله بن مسعود جمع وتوثيق ودراسة لغوية - بحث ماجستير - إشراف دكتورة وفاء كامل فايد - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .